

مشاكل العرب السياسية

ان حزب البعث العربي في سوريا^(١)، الذي دأب في معالجة القضية العربية باعتبارها كلا لايتجزأ، والذي كان صدى للارادة العربية الواعية في كل قطر عربي، يرى في هذا الجحان الغامض، ان يعرب عن رأيه في الاوضاع السياسية الكبرى التي لها صلة صميمية بكيان العرب بالصراحة التي تقتضيها المصلحة العربية والتي هي قاعدة أساسية في نهج هذا الحزب.

وقبل البدء بتشريح القضايا العربية، وبحث علاقات العرب مع الدول الاجنبية، يجدر بنا ان نقر أمرين، ونجعلهما من بديهيات الامور، وعلى ضوء هذه البداهة نعرض آراءنا:

١ - لاتقوم صداقة بين العرب وبين دولة من الدول الاجنبية الا بقدر ما تحترم تلك الدولة حقوقهم، وتعترف عمليا بوجودهم وحریتهم واستقلالهم من جميع نواحيه.

٢ - ان مصلحة الاقطار العربية هي واحدة، فلا ينظر الى دولة اجنبية في قطر عربي نظرة صداقة، اذا كانت هذه الدولة تسيء الى قطر عربي آخر وتنتقص من حقوقه. فلا يحمده مثلا موقف انكلترا في سوريا ما دامت تسيء الى العراق او مصر او

(١) نص البيان الذي أقره الحزب في اجتماعه العام المنعقد في مقره في دمشق يوم الجمعة في ٩ محرم ١٣٦٥ (هـ) الموافق لـ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٤٥. وميزة هذا البيان انه أخذ الوطن العربي بكامله من المحيط الى الخليج. وفيه خلاصات عاجلة عن مشكلة كل قطر وعن الوحدة العربية والجامعة العربية (وفيه الدعوة الى جامعة عربية شعبية تطرح لأول مرة).

أية إمارة عربية في أقصى الحدود من بلاد العرب .

العرب والحلفاء

لئن كان في موقف الحكومات العربية وتصريحاتها منذ ابتداء الحرب الاخيرة حتى الآن ما يوهم بأن العرب ينظرون الى الدول الغربية الاستعمارية، التي لها علاقة سيطرة او نفوذ بأكثر بلدانهم، نظرة صداقة وولاء واطمئنان، فان مواقف الشعب العربي المتكررة خلال هذه الفترة، والمظاهر الصادقة لشعوره وتفكيره وعمله، ما برحت تدل أقوى دلالة على انه منذ بداية الحرب العالمية الاولى لم يغير نظرتة الى هذه الدول التي تستربها مطامعها. وهولئن آيد المبادئ الديمقراطية التي طبع عليها منذ القديم، فانه لم يطمئن الى «الديمقراطيات» التي ما زالت تخرجه من عداد الشعوب التي يحق لها ان تستفيد من تطبيق تلك المبادئ.

كما يعتبر هذا الشعب ان ما أمدّ به قضية الحلفاء من مساعدات فعالة، في أوطانه ومهاجره، طوال مدة الحرب، لم يكن دينا يوفيه لهم على ما أذاقوه من ظلم وإرهاق وإفقار طوال ربع قرن، بل سلفة قدمها آملا ان تحمل الدول الحليفة على إعادة النظر في أساس السياسة التي ما زالت تتبعها معه، وان تقنع هذه الدول بان الخير الذي يمكن ان تجنيه من الاعتماد على شعب حر موحد صديق، ليختلف كل الاختلاف عن النفع الذي تنتزعه بقوة السلاح من شعب لا يشعر نحوها الا بالكره، ولا يبيت لها غير الخصام.

العرب وانكلترا

ليس في وسع الشعب العربي ان ينسى ان انكلترا قد نكثت بعهد الشرف الذي ارتبطت به مع قائد الثورة العربية «الملك حسين» اذ ضمنت له بموجب ذلك العهد استقلال البلاد العربية ووحدتها، بينما كانت تتآمر مع حليفها فرنسا تأمرا اسفر عن تجزئة البلاد العربية واقتسامها وتحويلها الى منطقتي نفوذ، عملت انكلترا في احدهما على إعاقة اهلها عن تحقيق استقلالهم وحرّيتهم، وحاولت فرنسا شر المحاولات لتجعل المنطقة الثانية جزءا من ارضها وتمحو منها كل المعالم

والمميزات العربية التي تحول دون تحقيق سياستها الاستعمارية. ولكن ما يذكره العرب بصورة خاصة في ألم يتجدد كل يوم، واستنكار يزداد في كل ساعة، هو تلك الجريمة التاريخية التي اقدمت انكلترا على ارتكابها بحق عروبة فلسطين، واحلالها في هذا القطر العربي شعبا اجنبيا يختلف في جميع عاداته وخصائصه وعقليته عن الشعب العربي، لتمزيق وحدة العرب والفصل بين اقطارهم.

فلسطين

ان الامة العربية لتطلب من انكلترا ان تعالج قضية فلسطين من اساسها، وان تعيد النظر في وعد بلفور نفسه. وهي لاتقبل حلها على اساس بيان المستر بينف المضطرب الذي أقر استمرار الهجرة اليهودية والذي أشرك دولة ثانية تعضد مطالب الصهيونيين لوضع حلول مغايرة لحق العرب في فلسطين، والذي نادى بحرمان فلسطين العربية من حق تشكيل دولة مستقلة وبيقاتها تحت نير الوصاية الدولية. كما ان العرب يرفضون التعاون مع لجنة التحقيق الا فيما يتعلق باقناعها بأن وعد بلفور افتئات صريح على حق العرب في فلسطين وانه تبرير لاعتداء الصهيونية الائمة على ارض العرب في هذا القطر. واذا كان جديرا برئيس الولايات المتحدة ووزير خارجية بريطانيا ان يخففا من شقاء اليهود في اوروبا ويعالجا مشكلتهم معالجة انسانية، فمن الاجدر بهما ان ينظرا الى الصهيونية على حقيقتها ويتبيننا بأنها حركة عدوانية باغية، بعيدة عن ان تكون علاجا صحيحا لمشكلة اليهود في العالم، وبالتالي عن ان تقر في نفوسهم الطمأنينة والسلام. وعلى هاتين الدولتين ان تزيلا هذا الحيف الواقع على العرب، وتقتنعا بان فلسطين قطر عربي يجب ان ينال استقلاله وحرية، ويحكم نفسه بنفسه في اطار المجموعة العربية.

شرقي الاردن

ان احتلال انكلترا، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، للمنطقة التي فصلتها عن سوريا وسمتها بشرقي الاردن، يعتبره الشعب العربي اعتداء صريحا على سيادته وعلى وحدته القومية. ويرى ان السبيل الوحيد الى تخفيف آثار هذا الاعتداء السيئة

في نفسه، هو ان تسرع انكلترا بسحب جيوشها من شرقي الاردن، وترفع عنه كل القيود التي كَبَلت بها حريته وسيادته، وكل الحواجز التي اصطنعتها لفصله. هو وفلسطين، عن امهما سوريا، وفصل هذه عن اقرب الاقطار العربية اليها في الارض والروح والمصلحة، الا وهو العراق.

ولا بد بهذه المناسبة، من ان نسجل رأينا في موضوع وحدة سوريا الطبيعية، او ما سمي حديثا بسوريا الكبرى: اننا نعتبر أمر توحيد سوريا الطبيعية من قبيل ارجاع الحق الى نصابه، ولا نقبل ان ندخل، في سبيل تحقيق هذا التوحيد، في أية مساومة يمكن ان تؤدي الى تنازلنا عن اي حق من حقوقنا القومية الازلية في عروبة فلسطين ووحدة ارضها وسلامتها، او في اي جزء من أجزاء سوريا العربية، كما اننا لانعترف بأي مشروع لاينال موافقة الشعب العربي نفسه في هذا القطر، ولا يتفق مع المصلحة العربية العليا. وفي اعتقادنا ان مصلحة العرب العليا تقضي بأن لايرضوا عن الحكم الدستوري بديلا؛ وان يسعوا الى النظام الجمهوري كغاية، لانه اضمن لتطورهم وتحقيق امكانياتهم القومية، ولكنه لايعقل ان يقيموا من هذا النظام عقبة في طريق تقدمهم نحو الوحدة. وعليهم ان يعتبروا اخيرا ان الخطوة الجدية الحاسمة في طريق تقدمهم نحو الوحدة هي: توحيد سوريا والعراق.

العراق

وليس الوضع السياسي القائم اليوم في العراق خاليا من الشوائب وعوامل القلق بالنسبة الى الشعب العربي. فلقد كان العرب ينتظرون ان تعمد انكلترا، فور انتهاء الحرب، الى تعديل المعاهدة مع العراق، وان تلغي منها جميع الشروط والتحفظات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي فرضتها انكلترا لمصلحتها وحدها. فكيف بهم اليوم وهم يرون ان انكلترا لم تقنع باستغلال هذه المعاهدة المجحفة بحقوق العراق، بل تذرعت بالاحوال الاستثنائية وبظروف الحرب فبسطة نفوذها على بعض المرافق مما لاتسمح لها به حتى المعاهدة التي قبلها العراق في ظرف خاص. فالعرب يعتبرون ان ازالة الشوائب التي لاتزال عالقة باستقلال العراق هي في رأس مطالبهم القومية التي

لا يمكن ان يقبلوا فيها اي تساهل او مماطلة .

مصر

ولسنا نرى لبريطانيا اي عذر او مبرر في موقفها المماطل المملوكي من مطالب مصر الوطنية بعد ان قدم لها هذا القطر العربي أجلّ المساعدات في أحوال الحرب وأعصبتها . ولقد أجمعت كلمة المصريين واتفقت جميع احزابهم على تحديد هذه المطالب بالاستقلال التام وجلاء القوات البريطانية عن الاراضي المصرية ووحدة وادي النيل ، اي الاعتراف بأن السودان جزء متمم لمصر، وانه ليس لبريطانيا ان تشترك في حكمه وادارته فضلا عن الاستئثار به كما يجري اليوم .

ان العرب اذ يؤيدون مصر في نضالها من أجل أستكمال أستقلالها وتحرير أرضها ووحدها، يحرصون على ان يسجلوا استنكارهم لما حدث في يوم ٤ شباط ١٩٤٢ من اعتداء بريطانيا على استقلال مصر وتدخلها في شؤونها الداخلية ومساسها لكرامة العرش المصري . ذلك ان مصر هي في نظر العرب حاملة لواء الفكر والثقافة ومثال للنضج السياسي ، وان اي اذى يلحق بها يثير عند العرب روح الاشتمزاز والحقده ، وان اي تلكؤ في اجابة مطالب القطر المصري العربي يثير الشكوك في نيات الانكليز وحقيقة سياستهم في جميع البلاد العربية ، ويجعل قيام الصداقة بينهم وبين العرب أمر عسيراً .

طرابلس الغرب

وقضية طرابلس الغرب تثبت للعرب ان العقلية الاستعمارية لم يطرأ عليها تغيير قط حتى بعد النكبات والبلايا التي صُبت على العالم . ان هذا القطر العربي قد قاوم الاستعمار الايطالي ثلث قرن ، وضحى في سبيل حريته تضحيات سخية ؛ ولم يقعد عن المطالبة بحقوقه الشرعية . ولما شبت هذه الحرب ، ناضل أهله في جانب الحلفاء لاستعادة حريتهم ودفاعا عن استقلالهم . فلما انتصرت جبهة الحلفاء لم يكن الطرابلسيون موضع نظر بل كانت بلادهم موضوع مساومة بين الدول الحليفة . فالعرب يلحون في طلب أستقلال طرابلس الغرب وحريتها لتمكن من الاشتراك في

الجامعة العربية وتقرر مستقبلها بالتساند والتعاون مع سائر أقطار العرب .

المحميات

وقضية المحميات ايضا والامارات العربية في الخليج العربي يجب ان يكون استقلالها وحريتها موضع بحث جدي بحيث تبقى عربية تتبع في كل شؤونها المصلحة العربية . وليس من حق بريطانيا ان تنذرع بأية ذريعة تسكنها من بسط حمايتها عليها او انتقاص سيادتها، وان تحول دون المحاولات التي قامت بها بعض هذه الامارات للاتحاد بأقطار عربية اخرى . فالشعب العربي في كل اقطاره يقبل مبدأ التحالف وتبادل المصالح على قاعدة المساواة مع حليفته، وليس يرضى ان يكون مسودا او مستعمرا او محكوما . واذا كانت بريطانيا تريد حقا صداقة العرب ومخالفتهم فما عليها الا ان تقر مطالبهم في الحرية والسيادة التامة، وفي غير هذه الحال فان هذه الصداقة تبقى مهددة وغير مستقرة في النفوس . والامة العربية وحدة حية متضامنة، فأى اخلال بريطاني او عبث بحرية قطر من الاقطار يكون صداه السيء شاملا لجميع البلاد العربية، وقد آن لبريطانيا ان تعترف بهذه الحقيقة صوتا للحق السطوق وحقوق العرب ومصالحها ايضا .

العرب وفرنسا

ان نظرة العرب الى فرنسا لتختلف عن نظرتهم الى أية دولة أستعمارية اخرى . فللدول الاستعمارية مصالح دفعتها الى الاعتداء على حقوق العرب والحق الاضرار بهم باشكال واساليب بلغت في كثير من الاحيان اقصى حدود القسوة والانانية والاستهتار بالشع . ولكن فرنسا تحمل للعرب حقا موروثا فكانت اعتداءاتها المجرمة المتعددة عليهم لاتصدر عن الطمع وابتغاء المصلحة فحسب، بل تمتزج اعمق الامتزاج بروح الانتقام والتشفي، وتظهر بأفزع اشكال الاذلال والامتهان، وبسياسة ترمي الى إفناء العرب وتحويل ارضهم بترائهم المجيد وخيراتها العميمة ارضا فرنسية صرفة، وهذا يفسر كيف ان سياسة فرنسا مع العرب، سواء اكان ذلك قبل قرن وبعض القرن في الجزائر ثم في تونس ومراكش، او في سوريا ولبنان منذ

احتلالها لهما، لم تتبدل قيد شعرة رغم تبدل الظروف والمصالح، لان المحرك الحقيقي لتلك السياسة كان دوماً ذلك الكره العاطفي والتصميم النهائي على اعتبار العرب عدواً يجب ان يزول اما بالفرنسة واما بالموت. وها هي فرنسا قد مضى على احتلالها الجزائر اكثر من قرن امتصت خلاله ثروة الارض العربية فيها حتى آخر قطرة، وسخرت لخدمتها السكان في حروبها والدفاع عن مصالحها؛ ومع ذلك فما كادت تخرج من تحت وطأة الاحتلال الاجنبي في نهاية هذه الحرب حتى كان اول ما خطر لها ان تعمله في حياة السلم الجديدة انها صببت النيران على عشرات الالوف من عرب الجزائر العزل، فأفنت قرى وقبائل برمتها دون اي مبرر او سبب يستوجب مثل هذه الفظائع؛ وها هي فرنسا التي بلاها العرب في سوريا ولبنان طوال ربيع قرن، وابتلوا بها، تنتظر فرصة اعلان السلم العالمي لتؤيد عندها الذي قطعت له سوريا بالاستقلال بارتكاب فظائع وأهوال ضج باستنكارها العالم قاطبة. وهي لاتزال حتى هذه الساعة وبالرغم من التجارب الاليمة ومن فشل سياستها المفصوحة المرة تلو الاخرى، تصر على طلب امتيازات ونفوذ وسيطرة في سوريا ولبنان، وتسخر كل ما بيدها من حيلة وكل ما لمركزها السياسي في اوربا من اغراء لاستمالة انكلترا الى مساعدتها في نيل مآربها من هذين البلدين العربيين، علاوة على ان موقفها العدائي من الجامعة العربية وعزلها عن المغرب عن الانضمام الى تلك الجامعة، وسعيها الحثيث لاحباط كل ما يسير بالعرب نحو وحدتهم ونهضتهم هو امر لا يحتاج الى ان يقوم عليه دليل.

سوريا ولبنان

يطلب الشعب العربي الجلاء العاجل لجميع الجيوش من افرنسية وانكليزية عن ارض سوريا ولبنان ولا يمكن ان يقبل بأي تأجيل، كما يطلب تسليم كل ما تبقى بيد الافرنسيين من صلاحيات الى حكومتي سوريا ولبنان، وهو يرفض كل فكرة ترمي الى منح اي مركز ممتاز في هذين البلدين لفرنسا او لغيرها من الدول الاجنبية. ويعلن ان كل اتفاق يجري بين الدول بشأن سوريا ولبنان ولا يكون فيه هذان البلدان

صاحبي الرأي الاول والاساسي فيه يعتبره لاغيا وغير ملزم له ، نعني بذلك ما يجري من مفاوضات بين فرنسا وانكلترا . ف قضية سوريا ولبنان هي ملك لهما وحدهما وللجامعة العربية . ولا بد من التصريح بأن كل حل يتعلق بسيادة هذين البلدين واستقلالهما التام الناجز لا يمكن ان يجري على واحد منهما دون الآخر . ونحن نعتبر ان سوريا هي تلك الوحدة الطبيعية التي يؤلف لبنان جزءا منها . ولا يضعف من قوة هذا المبدأ في شيء اقتناع بعض اللبنانيين - تحت عوامل طارئة - بإمكانية تأليف دولة لبنانية مستقلة منفصلة عن سوريا . وان الزمن والتجربة وتكامل الوعي لتكفل معالجة هذا الانحراف الطارئ وارجاع الامور الى مستقرها .

ومن الجرائم الكبرى التي ارتكبتها فرنسا ابان احتلالها لهذه البلاد هي التفريط بلواء الاسكندرون بعد تمهيد السبل لاستيلاء الترك عليه . وهذا الاعتداء التركي الفظيع على هذه الارض العربية التي يتعلق العرب بكل شبر منها ويبدلون دماءهم لاسترجاعها لا يختلف لا في جوهره ولا في شكله عن تلك الاعتداءات التي حدثت في اوربا والتي كانت سببا في نشوب الحرب العالمية الاخيرة . ومع ذلك ففي الوقت الذي يهتم مؤتمر وزراء الخارجية بالفصل في قضايا المقاطعات المختلف عليها بين دول اوربا نراه لا يحرك ساكنا في قضية الاسكندرون ولا يمهد السبل لعودة اللواء الى الارض العربية . فالعرب يعلنون انه ليس من قوة او اغراء يستطيعان حملهم على قبول اي تفريط او مساومة بشأن لواء الاسكندرون الذي يطلبون ارجاعه الى الارض العربية بكامل حدوده . وان العلاقات بين العرب والاتراك لا يمكن ان تصفو ما دام اللواء مفصوبا .

شمال افريقيا

ان شمال افريقيا قد بقي بمعزل عن مقررات دول العالم في مؤتمراتها ولم يشملها اي نوع من انواع الحلول الدولية . فقد بقيت فرنسا فيه تمارس سياستها في محق المعنويات والافقار والاذلال والتقتيل والتشريد والفصل بين السكان وبين مقومات وجودهم اللغوية والدينية والتاريخية . ورغم هذا فالعالم المتمدن والدول

التي تدّعي انها انما دخلت هذه الحرب دفاعا عن حرية الشعوب لم تلتفت الى ما يجري هناك من مظالم وجرائم ومخالفات لابطس الحقوق الطبيعية التي يجب ان يتمتع بها البشر. فالعرب لا يعدون ان تغيرا قد طرأ على العالم من حيث تحقيق المبادئ السامية ونشر الحرية ما لم يعط لهذه البلاد العربية حقوقها من استقلال وحرية وسيادة، وما لم تجل القوات الفرنسية عنها لتمكن هذه البلاد من تنظيم شؤونها ولمّ شتاتها واعادة الحياة اليها بالتعاون مع الاقطار العربية والانتماء الرسمي الى الجامعة العربية. والدول الكبرى والعالم المتمدن مدعوون، اذا كانوا حقا يريدون السلام الدائم، الى معالجة هذه المشكلة وصون حقوق العرب.

الجامعة العربية والوحدة العربية

لقد سبق وبينا رأينا في الجامعة العربية منذ تأسيسها. ونعود الآن فنعلن أن هذه الجامعة لاتفصح عن ارادة الامة العربية في حقيقتها وتامامها، ولا تسير في الطريق الموافق لروح النهضة العربية الحديثة، علاوة على انها من حيث امكانيات التحقيق لاتقدر على كبير شيء. ولكن على الرغم من ذلك كله، فليس من عربي مخلص في سائر بلدان الوطن العربي الا ويعتبر وجودها خطوة محمودة، ويأمل ان تقوى وتشتد وان تسير باطراد نحو تقويم اتجاهها واستكمال مقوماتها. الا ان كل عربي واع مخلص يدرك في الوقت نفسه ان وجود الجامعة العربية، ان يكن خيرا، فهو ليس كل الخير المرجو، وان حاجات النهضة العربية ومستلزماتها لايمكن ان تكتفي بجهود الجامعة ولا ان تقف عند حدود نظرها وامكانياتها. فهذه الجامعة مصابة بنسجمين اساسيين: الاول ان نشوءها في ظرف معين وفي ملابس خاصة بعد تصريح لوزير خارجية بريطانيا في زمن الحرب، وكونها مؤلفة من الحكومات الرسمية التي يرتبط اكثرها مع بريطانيا بمعاهدات والتزامات، ليحرمها الشيء الكثير من حرية التصرف، ويعين لسياستها الخارجية حدودا يصعب ان تنحرف عنها او تتعدها، في حين ان مصلحة العرب تقضي بأن يكونوا احرارا في انتهاج السياسة الخارجية التي تلائمهم وفي مخالفة الدول التي تضمن لهم اكبر حد من مصالحهم القومية، لا ان يتقيدوا

بمصالح دولة معينة اويسيروا دوما في ركاب جبهة معينة من الدول . الثاني : ان كونها مؤلفة من ممثلي الحكومات الرسمية ايضا يبعدها عن التجاوب التام الصادق مع اماني الشعب العربي وحاجاته في الوحدة والنهضة القوميتين ، ويحولها هكذا في بعض الاحيان الى حجر عثرة في سبيل هذه النهضة وتلك الوحدة اذا هي استأثرت بتولي شؤونهما وحدها .

لذلك نعتقد ان ثمة ضرورة حيوية ماسة بالنسبة الى الشعب العربي تقضي بتأليف جامعة عربية شعبية ، الى جانب جامعة الدول الرسمية ، تكون مفصحا صادقا عن مصلحة هذا الشعب واهدافه القومية في سائر الاقطار ، وموجهها قويا له يحميه من اضرار التأثير بأية سياسة اجنبية او الخضوع لضغطها ، كما ينقذه من مساوىء السياسة الاقليمية وانانية الحكومات والاشخاص ، فيستبق خطى الاتحاد الرخو البطيء ويمهد للوحدة المتينة ويستعجل سيرها ، ويضمن لنضال الشعب العربي ، في سبيل حريته التامة ووحدته الشاملة ونهضته الواسعة ، انسب جولا زدهار هذا النضال وارحب مجال لتطبيقه .

وهكذا تكون الجامعة الشعبية سندنا ونصيرا للجامعة الرسمية حين تسلك هذه طريق الصواب ويعوزها النصير ، ومعارضها ومقوما لها حيث يعوزها الارشاد والتقويم . ان حزب البعث العربي ليعلن عن رأيه هذا في المشاكل العربية للعرب في اقطارهم كافة ، مشيرا الى ان الوضع العربي سيقى مبلبلا ما لم تحل هذه المشاكل برمتها . وينبه الحزب الى وجوب ان تكون مصلحة العرب العامة هي الاصل في كل حل جزئي لقطر عربي ، ومتى تعارضت حلول قطر مع مصلحة سائر الاقطار فتهي حلول ليست في مصلحة القطر ذاته وان كانت في شكلها الخارجي ملائمة له .

عن حزب البعث العربي

صلاح الدين البيطار ، جلال السيد ، مدحة البيطار ، ميشيل عفلق

دمشق في ١٤ كانون الاول ١٩٤٥